اللّغة العربيّة في المدرسة الجزائريّة بين أسباب التّدنّي وسبل الارتقاء

the Arabic language in the Algerian school between causes of decline and means of advancement.

د. عبد الله بوحسون*
وحدة البحث: واقع اللّسانيات وتطوّر الدّراسات اللّغوية في البلدان العربيّة
جامعة تلمسان
abdo13bouhass@hotmail.fr

تاريخ الوصول: 2021-09-08 تاريخ القبول: 2022-02-28 تاريخ النشر: 2022-05-13

ملخص:

يعالج هذا المقال واقع التّعليم في المؤسّسات الجزائرية، ويفسّر تدنّي المستوى التّعليمي في فئات المتعلّمين اليوم، لاسيما في اللّغة العربيّة، كما يقدّم اقتراحات وحلولا لرفع المستوى لدى المتعلّم الجزائري، من خلال الإجابة على الإشكاليّة الآتية:

ما هي سبل رفع المستوى لدى المتعلّمين في المدرسة الجزائرية، في ظلّ توفّر الوسائل التّعليميّة المتطوّرة،والظّروف الملائمة؟

وقد حدّد البحث بعض أسباب ضعف المتعلّمين في اللّغة العربيّة خصوصا، والتي يرتبط بعضها بالمتعلّم نفسه؛ كجهله بالمعطيات المعرفيّة التي درسها، وعدم اهتمامه بالتعلّم، وبعضها الآخر مرتبط بالعناصر التّعليميّة الأخرى.

الكلمات المتاحية: التّعليم، اللّغة العربيّة، المستوى التّعليمي، المدرسة الجزائريّة، الوسائل التّعليميّة.

Abstract: This article discusses the reality of education in Algerian institutions, and explains the low level of education in today's educated classes, especially in the Arabic language. it also offers suggestions and solutions to raise the level of the Algerian learner, by answering the following problem: What are the means of raising the level of learners in the Algerian school, in the light of the availability of advanced teaching resources and appropriate conditions?

The research identified some of the reasons for the weakness of learners in the Arabic language in particular, some of which are related to the learner himself, As his ignorance of the cognitive data he studied, and his lack of interest in learning, some of which are related to other educational elements.

Keywords: Education; Arabic language; Level of education; Algerian school; teaching resources.

* د. عبد الله بوحسون abdo13bouhass@hotmail.fr

1. مقدمة:

لا يخفى على أحد من الجزائريين الوضع الذي آل إليه مستوى المتعلّمين اليوم من تدنٍّ في المستوى العلمي معرفة واستعمالا، ويظهر ذلك في سلوكاتهم اللّفظية والكتابيّة؛ فما أعظم الفساد الذي يحدثونه في اختباراتهم وبحوثهم في مسارهم الدّراسي، والتي تخلق في الأوساط التعليمية جوّا من الارتباك وفقدان الثّقة بين ما تقرّه الوزارة وما يتطلّبه الواقع، أو ما يرى نجاحه المعلّم من خلال خبرته المهنية، وذلك ما يوجب على أهل الاختصاص والقائمين على قطاع التّربية والتّعليم أن يسارعوا إليه ويشمّروا عن سواعدهم لتحقيقه.

ولعلّ خير دليل على فساد التّعليم في الجزائر، ونتائجه السّلبية في جميع القطاعات كثرة الإصلاحات في فترات الحكم المتعاقبة، والتي تهدف كلها إلى إحداث تطوير إيجابي في الأداء الدّراسي للمتعلّمين، وتحسين نوعية التّعليم وظروفه، وقد بذلت الدولة جهودها في ذلك، وعزّزت موارد التعليم البشرية والمادّية، وانتهجت مقاربات تعليمية محدّدة على أساس الاستثمار في الخبرات والتجارب الأجنبية الناجحة، لكنها لم تَفِ بالغرض المطلوب لكثرة المعيقات وتنوّعها.

وتتعلّق فكرة الموضوع بالطّرح التّالي للإشكالية: لماذا يتدنّى المستوى في اللّغة العربيّة مادامت الإمكانات موجودة والمادّة العلمية متوفرّة؟

وما هي سبل رفع المستوى لدى المتعلّمين في المدرسة الجزائريّة؟

أحاول في هذا البحث أن أقف على واقع اللّسان العربي في المدرسة الجزائريّة، وأصف فيه الدّاء وأقترح بعض الدّواء لعلّه يسعف مرضانا في تعليميّة اللّغة العربيّة مستقبلا-إن شاء الله-.

ولحلّ إشكاليّة البحث يمكن افتراض ما يلي:

- تحديد مواطن الضّعف اللّغوي في تعابير المتعلّمين الكتابيّة والشّفهيّة؛
- وأثر ضعف المستوى في ميادين الحياة.

وأهدف من خلال هذا المقال إلى:

- وصف الواقع التّعليمي في الجزائر؛
- واقتراح السّبل الكفيلة برفع مستوى التّعليم لدى المتعلّمين مستقبلا.

وأرى المنهجين الوصفي والتّحليلي مناسبين لمعالجة هذه الإشكالية.

2. المدرسة ووظيفتها

1.2 مفهوم المدرسة:

المدرسة لفظ مشتقّ من الفعل الثلاثي (دَرَسَ)، يقال: دَرَسَ الكتاب ونحوه دَرْساً، ودِرَاسَةً: قرأه وأقبل عليه ليحفظه ويفهمه. و(تَدَارَسَ) الكتاب ونحوه: دَرَسَهُ وَتَعَهَّدَهُ بالقراءة والحفظ لئلّا ينساه. و(الدَّرْسُ) المقدار من العلم يدرس في وقت ما. والمدرسة: مكان الدّرس والتّعليم. [1]

وقد أثنى المجتمع على بُناة المدارس في جميع البلدان، ورأوا أنّها هياكل لابدّ من توفيرها في كلّ ربوع الوطن، ودعوا إلى ذلك كثيرا، لأنّها المكان الأمثل لمحاربة الجهل وتنوير العقل، وتتّسع لكثير من المتعلّمين، وبدونها تكون الحياة قاسية مظلمة، قال معروف الرّصافي (ت 1365هـ/1945م):

ابْنُوا المَدَارِسَ وَاسْتَقْصُوا بِهَا الأَمَلَا حَتَّى نُطَاوِلَ فِي بُنْيَانِهَا زُحَلاَ

جُودُوا عَلَيْهَا بِما دَرَّتْ مَكَاسِبُكُمْ وَقَابِلُوا بِاحْتِقَارٍ كُلَّ مَنْ بَخِلاَ[2]

وقال خليل مطران (ت1949م) :

وَوَاضِعٍ حَجَراً فِي أُسِّ مَدْرَسَةٍ أَبْقَى عَلَى قَوْمِهِ مِنْ شَائِدِ الهَرَمِ[3]

ولئن كانت المدارس في بدايتها تبنى بمال المحسنين، فاليوم أصبحت من مسؤولية الحكومات، وصارت مرفقا وطنيا يجب توفيره كلّما دعت الظروف إلى ذلك.

2.2 وظيفة المدرسة:

وتكمن مهمّة المدرسة باعتبارها مكانا مخصّصا للتّعلّم والتّعليم، في تنشئة الأجيال لإصلاح المفاسد داخل المجتمع، وتهيئتهم للحياة الاجتماعية، وتحصينهم من أيّ انحراف فكري أو عقدي أو أخلاقي[4]، وأداء الأدوار المنوطة بهم على خير وجه في الحفاظ على هويتهم وانتمائهم أوّلا، الإسهام في تشييد صرح أمّتهم، وتطوير بلدهم في مجالات تخصّصهم حاضرا ومستقبلا[5] ؛ قال صادق الرّافعي (ت1937م):

وَاخْدُمْ بِلَادًا أَنْتَ مِنْ أَبْنَائِهَا إِنَّ البِلَادَ بِأَهْلِهَا تَتَقَدَّمُ[6]

وتوضّح المناهج التّربوية الحديثة ما ينبغي أن توفّره المدرسة للمتعلّمين، فمن مسؤوليتها توفير غرف الدّراسة الواسعة والمهيّأة بما يتيح لهم تمدرسا مريحا، ومختبرات جيّدة، وغيرها من فضاءات التّعليم الضّرورية.[7]

والمدرسة في ظلّ المفهوم الحديث للمنهج توفّر الجوّ التّعليمي المناسب من غرف متّسعة، وملاعب كافية، ومختبرات معدّة إعدادا جيّدا، ووجود قاعة كبيرة أو مسرح، ولذلك ركّز النّظام التّربوي على ضرورة تحقيق هذا الدّور؛ فتكوين المواطن وإكسابه الكفاءات والقدرات التي تؤهّله لبناء الوطن في سياق التوجّهات الوطنيّة ومستلزمات العصر هدف مطلوب، وكذلك ترسيخ روح الانتماء للوطن والدّفاع عن وحدته وسلامته وعقيدته الإسلامية، مما يعزّز هويّته ويحفظها.[8]

وقد أعدّت وزارة التّربية من أجل ذلك مناهج التعليم التي ترشد المعلّمين إلى تحقيق الغايات المرجوّة من تعليم النّشء، وصرّحت به قائلة: "ويعتبر المنهج المدرسي الأداة الرئيسية التي تقوم عليها التربية لتحقيق أهدافها في أية عملية تربوية، ..فمن المسلّم به أنّه عندما ننوط المعلّمين بأبنائنا، فإنّما ننوط بهم ليستولوا عنّا إعدادهم للحياة المستقبلية، ويكون المنهج المدرسي حجر الزّاوية لهذا الإعداد".[9]

فالمنهج التربوي هو الذي يحدّد مدخلات التعلّم ومخرجاته للسنة الدّراسية، ويبيّن للمعلّم طرائق تعليم المادّة وكيفية الوصول إلى الغايات التربوية المنشودة.

ولا يقتصر دور المدرسة بهياكلها وإمكاناتها البشرية على تعليم النشء الموادّ العلمية وإتقانها فقط، بل هي ملزمة بتعزيز القيم المختلفة في ذات المتعلّمين، وتربيتهم على الأخلاق الحسنة ما استطاعت إلى ذلك سبيلا.

ولذلك تجد الشّعراء قديما وحديثا يقرنون العلم بالأخلاق، والتعلّم بالممارسة، ولا فائدة ترجى من المتعلّم بدون أخلاق، قال عليّ بن أبي طالب –كرّم الله وجهه–:

إِنَّ المَكَارِمَ أَخْلَاقٌ مُطَهَّرَةٌ فَالدِّيـــنُ أَوَّلُهَا وَالعَقْلُ ثَـــانِيهَا

وَالعِلْمُ ثَالِثُهَا وَالحِلْمُ رَابِعُهاَ وَالجُودُ خَامِسُهَا وَالفَضْلُ سَادِيهاَ [10]

وقال الرّصافي:

وَلَكِنْ لَيْسَ مُنْتَفِعاً بِعِلْمٍ فَتًى لَمْ يَحْرِزْ الخُلُقَ النَّضِيرَا [11]

يحتاج الفضاء التّعليمي إلى تضافر الجهود بين الدولة وشعبها، فالدولة توفّر الإمكانات اللازمة، وتستورد التجارب الناجعة، وتستثمر في الخبرات المتوفّرة من جهة، والشعب يحافظ على ما أتيح له في هذا المجال وغيره، ويتحمّل مسؤوليته اتّجاه ذلك، وعلى المتعلّمين أنفسهم أن يحرصوا كلّ الحرص على التعلّم والاجتهاد فيه، وأن يتخلّقوا بالأخلاق الحسنة التي تعينهم على التّحصيل العلمي المنشود.

3 مظاهر تدنّي المستوى اللّغوي عند المتعلّمين

1.3 الجهل ببنية اللّغة العربيّة:

عند قراءتنا لأجوبة المتعلّمين في مادّة اللّغة العربيّة، نلاحظ أخطاء تتعلّق ببنية اللّغة العربيّة، وهي أخطاء مردّها إلى طرائق التّعلّم بصفة خاصّة، وإلى دور المعلّم بصفة مباشرة؛ ومثال ذلك:

عدم التفريق بين الكلمة (اللفظ المفرد) والجملة، أو الفعل والاسم، أو الأداة والحرف، أو الفاعل والمفعول، وغيرها. ولاشكّ في اكتساب المتعلّم لتلك المصطلحات وفهمها وحسن التمثيل لها في منتوجه اللغوي فائدة عظمى، بفضلها يكوّن مهارته اللغوية المطلوبة في حدود مستواه التّعليمي.

وقد حملت لنا كتب النّحو كل ما يتعلّق بالبنى العربيّة، كتحديد مفهوم الكلمة والجملة، والفرق بينهما، فهذا السيرافي (ت368هـ) يشرح ما قاله سيبويه (ت180هـ) عن حدّ الكلم في اللّغة العربية [هذا باب علم ما الكَلِمُ من العربيّة]:

"وأمّا الكلم فقد يسأل السائل فيقول: لِمَ لَمْ يَقُلْ: الكلامُ، أو الكلامَ أو الكلمات؟ الجواب أنّ الكلام يقع على القليل والكثير، والواحد والاثنين والجمع، والكَلِمُ: جماعة كَلِمَة، كما تقول: خَلِفَةٌ وخَلِفُ وخَرِبَةٌ وخَرِبُ، وإنّما أراد سيبويه أن يبيّن الاسم والفعل والحرف، وهي جمع، فأراد أن يعبّر عنها بأشكل الألفاظ بها وأشبهها بحقيقتها، ولم يقل الكلمات، لأنها جمع مثل الكلم. والكلم أخفّ منها في اللّفظ، فاكتفى بالأخفّ عن الأثقل، إذ لم يكن في أحدهما مزيّة على الآخر. [12]

فالكلمة هي اللّفظ الواحد المركّب من بعض حروف الهجاء للدّلالة على معنى مفرد؛ مثل: زيد، كتاب، جبل، فإن لم يدلّ على معنى فليس بكلمة نحو (ديز) مقلوب (زيد)، وإن لم يكن المعنى مفردا فليس بكلمة أيضا نحو (جاء محمّد).[13]

وذلك ما يعرف بالتركيب، ويعني ضمّ كلمة فأكثر إلى كلمة أخرى سواء أفاد أو لم يفد.[14]

وفي الفرق بين عبارة (قام زيد)، و(إنّ زيدا قائم).

ففي الجملة الأولى يراد بها الإخبار بقيام زيد، وفي الثّانية يراد بها الإخبار أيضا بالحدث نفسه، لكنّه مقرون بالتّوكيد حتى يثبت صدق خبره لدى المتلقّي.

والبنية في اللّغة العربيّة تتعلّق بطبيعة المفردات من حيث مدلولها المعجمي lexical والسياقي contextuel، كما أنّها ترتبط بخصائص الجملة في العربيّة، التي تتشكّل من مختلف التّراكيب، فالجملة تأتي فعلية أو إسمية، ولذلك ينبغي للمتعلّم إدراكه للصّور التي يتألّف منها الكلام، وهي: اسمان، فعل واسم، فعل وثلاثة أسماء، فعل وأربعة أسماء، جملة جواب الشّرط، أو القسم وجوابه.[15]

وما يتعلّمه من حدّ الكلمة والجملة هو نظم الكلام بما يتناسب ومقاماته، ولا يصل إلى ذلك إلا بالتدرّج في ممارسة تطبيقه للقوانين اللغوية المدروسة.

2.3. مزج المفردات الدّخيلة مع العربيّة في التّعبير:

ويرجع هذا المظهر إلى ما يفرضه المجتمع على أفراده، فقانون العرض والطّلب يرافق المستهلك دائما، وما هو معلوم أنّ المجتمع العربي يستورد حاجياته أكثر ممّا ينتجها، ويقبل على المنتوج المستورد أكثر من المحلّي– هذا إن وجد –، ولذلك تأثير بيّن على لغته وتفكيره، فيجد نفسه مرغما على استعمال مسمّيات الأشياء كما يجدها، أو يألفها؛ ومن تلك المسمّيات:

(الهاتف النقّال portable – المحفظة cartable – الكرّاس cahier)

فينسى تدريجيا مسمّيات الأشياء بالعربيّة، وينغمس في لغات أجنبيّة دونما شعور، مع جهله بذلك، وعدم إتقانه لأيّ لغة منها.

و يكمن الخطر –هنا– في ما وصل إليه المتعلّم والمثقّف من التّباهي باستعمال الألفاظ بلغات غير عربيّة في تواصله اليومي، معتقدا أنّ ذلك يعلي من شأنه أمام غيره، ناسيا أنّ استعمال لغة أجنبيّة في غير مواقفها هو قابليّة للاستعمار، وتنكّر للمواطنة في آن واحد، يقول عبده الرّاجحي: "تعاني العربيّة الآن حالة غير صحيحة في مناهجها ومحتوياتها وطرق تدريسها في التّعليم العام والتّعليم الجامعي على السّواء، وقد أفضى ذلك إلى تراجع واضح في الأداء استماعا وحديثا وكتابة وقراءة، ويعزو بعض المحلّلين هذه الظّاهرة إلى ما تعانيه العربيّة من الازدواج اللّغوي (diaglossia)".[16]

وهذا لا يعني أن يترك تعلّم اللّغات الأجنبيّة، بل يحرص على تعلّم اللّغة بما ينمّي ثروته فيها من جهة، وينجح في اجتياز الامتحان من جهة أخرى.

3.3. افتقادهم لمقياس الإبداع في الكتابة سواء كان المكتوب شعرا أو نثرا:

وقد لاحظنا ذلك كثيرا أثناء تصحيحنا للتّعابير الكتابيّة، أو المشاريع التّعليميّة، أو النصوص الأدبيّة في مناسبات محدّدة كيوم العلم، وعيد المرأة، وغيرهما.

فمثلا كتابتهم للشّعر في شكل خواطر، وهي محاولات تستحقّ التّشجيع من حيث الفكرة والموضوع، لكنّها تحتاج إلى متابعة ومراجعة، وذلك ما لا يدركه المتعلّمون في مثل تلك المحاولات، فيعتقدون أنّ ما يخطرونه من مواضيع بألفاظ مرصّعة هو النّظم، فيفقدون لذّة الشّعر ويستصعبون بحوره وأوزانها، ويكتفون بالخواطر إلى أن يضيع منهم الوقت فلا يتعلّمون شيئا من الشّعر، وكذلك النّثر وما يلزمه من شروط.

3.4. الأخطاء الإملائية المتكرّرة:

ومثالها؛ (عضيم- عظيم)، و(ضنّ- ظنّ)، و(ضلم- ظلم)، و(حتّ- حثّ)، و(دفدعة- ضفدعة)، و(درب- ضرب)، ..وهي كثيرة ومتعدّدة لا يمكن حصرها في هذا المقام.

وجملة القول في مظاهر التّدنّي في ميدان اللّغة العربيّة هو إهمال تعليم الأداء الفصيح في المدارس[17]، والاهتمام بما تمليه مجموع الفلسفات التربوية المستوردة، والتي لا تلائم الذهنية العربية وطبيعة مجتمعاتها.

4. أسباب تدنّي المستوى

1.4. الاجتماعية والاقتصاديّة:

-كثرة التّبعات التي ترهق المتعلّم الجزائري وتعيق مساره التّعليمي، وتتعدّى حدود طاقاته، كالحاجة المادّية لعسر حاله وحال أسرته[18]، وهو أمر لا نغفل تأثيره النّفسي على تكيّفه السّلبي مع المحيط المدرسي.

-ومشاكل المواصلات من البيت إلى المؤسّسة التّعليميّة - فكثير منهم يعانون ذلك — في ظلّ عدم توفّر الإمكانات والمرافق مثل ازدحام الطّرقات يوميّا وفي أوقات العمل، وخاصّة بداية الأسبوع، وعدم عقلانيّة التّوزيع العمراني في احتوائه على المرافق الضّرورية المسهِّلة لحياة السّكّان من مدرسة ومصحّة وغيرها، ممّا يدفعهم إلى قطع مسافات قاتلة لطاقاتهم في عزّ سنوات الفتوّة والعطاء، ومهدرة لأوقاتهم صباح مساء، وهذا العامل يشوّش تفكيرهم نظرا لما يعيشونه حينها من أمور دنيوية تشغل بالهم.[19]

-وكثرة الإضرابات المتكرّرة سنويّا، والتي تتعلّق بحالات توقيف الدّروس مرحليّا لانشغالات تخصّ أوضاع التّعليم المزرية، ممّا يبعث في نفسية المتعلّم كراهية الالتحاق بمقاعد الدّراسة، وتضييع الوقت داخل ساحة المؤسّسة أو خارجها فيما لا يجديه نفعا، في حين ينبغي عليه أن يستثمره في المطالعة والبحث والمناقشة الجماعية مع أقرانه طلبا للإفادة واقتصادا للجهد الفكري في زمن الدّرس.

2.4 البيداغوجيّة:

وترجع مسؤوليّتها إلى السّلطة ودورها في متابعة مخطّطاتها ميدانيا من حيث التّفعيل من عدمه، ومنها:

–البرامج التّعليميّة الضّعيفة وغير المناسبة للمتعلّم الجزائري: بحيث نلمس كثافة الموادّ العلميّة وفوضويّة المعارف العشوائيّة في المادّة العلميّة الواحدة أو في التّخصّص الواحد؛ دونما مراعاة لعاملي الزّمن والطّاقة الاستيعابيّة للمتعلّم نفسه، ويؤدّي ذلك إلى الاكتئاب والملل لديهم فيلجؤون إلى اختصار الطّرق وتدبير الحيل في سبيل إيجاد حلّ للانتقال دون تكليف النّفس والجسد عناء التّمعّن والتّعمّق في فهم المادّة العلميّة وتطبيقاتها. ولو أنّنا اختبرنا التّلاميذ في المرحلة الابتدائية في مادّة الإملاء العربي لوجدنا أخطاء لغويّة كثيرة ورهيبة، وكذلك القول نفسه مع باقي الأطوار الذين رافقهم الخطأ في ظلّ الإصلاحات الجديدة في السّنوات الأخيرة لميدان التّربيّة. ولو امتحنّا طلبة اللّغة والأدب العربي – مثلا– في الجامعة الجزائريّة في موضوع البحور الشّعريّة من مقياس العروض المدروسة لاستغربنا إجاباتهم، فهم لا يكادون يفقهون ما جاء في هذا العلم–رغم دراستهم له في الأطوار السّابقة–، بل وأكثرهم يستهزئ به لاعتقادهم بعدم جدواه في الحياة الاجتماعيّة، وهذا يعكس مدى غياب الثّقافة العروضيّة والذّوق الجمالي عندهم.

–ضعف التّأطير التّعليمي: وهو أمر صار يؤرّق المعلّمين والتّربوّيين من جهتين: إحداهما تتعلّق بمهارات التّدريس الفعّالة والتي تشترط في المعلّم عند التحاقه بالمهنة، فهناك العديد منهم لا يحسنون التّواصل لا مع المادّة المعرفيّة ولا مع الطّاقة البشريّة؛ إذ يلمس فيهم المتعلّم (تلميذا كان أو طالبا) فساد ألسنتهم أو ضعفهم في إلقاء الدّرس أو المحاضرة باللّغة العربيّة الفصيحة، وعدم تمكّنهم من منهجيّة عرض المعارف. والأخرى تتعلّق بالمقبلين على التّخرّج، فأكثرهم أضاع السّنوات في اللّهو والنّوم ونسج الأماني، فلم يغترف من العلم إلا صفته، ومن الدّروس إلا عناوينها، ومن القسم أو المكتبة إلا طول الجلوس والاسترخاء، فضيّع على نفسه الفائدة، وخرج من الطّور (الابتدائي، والمتوسّط، والثّانوي، والجامعي) بخفّي حنين، وذلك ينطبق عليه قول علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–:[20]

لَوْ كَانَ هَذَا العِلْمُ يَحْصُلُ بِالمُنَى مَا كَانَ يَبْقَى فِي البَرِيَّةِ جَاهِلُ

اِجْهَدْ وَلَا تَكْسَلْ وَلَا تَــكُ غَافِلاً فَنَدَامَةُ العُقْبَى لِمَنْ يَتَكَاسَــلُ

–افتقاد الإطارات الجامعية لضمان مناصبهم في سوق العمل بعد تخرجهم، في حين كان الأمر سهلا قبيل الانفجار الطلابي المرعب في هذه السنوات، ويرجع ذلك إلى غياب سياسة مدروسة تعمل على وضع توازن بين حاجات سوق العمل وعدد خريجي الجامعات ونوعية التكوين المطلوب.

3.4 العلمية والثقافية:

وهذا العنصر يكشف لنا عن طبيعة العلاقة بين المتعلم والمادة المعرفية من حيث نسبة تحصيله منها وتأثيرها فيه (تطور سلوكه الفكري والحركي)، فالمواقف الاتصالية للمتعلمين تعد انعكاسا للخبرات التحصيلية اللغوية والعلمية السابقة في الاكتساب [21]؛ ولا شك في أن اللغة وسيلة تبليغ وتواصل بين الفرد والمجتمع، وهي أداة تفكير وأسلوب تعبير ووسيلة تصوير[22]، فإن فسدت اللغة فسد الاتصال؛ ومن تلك الدوافع:

– الثروة اللغوية الفقيرة: يعود افتقار المتعلم الجزائري إلى الجهل بلغته العربية وقيمتها العلمية في نقل العلوم والمعارف، وتدوين الخبرات، وتسجيل الإبداعات التي تلبي حاجيات التفكير العربي[23]، فلا يمكن أن يفكر العربي بلغة أعجمية؛ ولكن يمكنه أن يرسم بها أفكاره، كما لا يعقل أن يفهم لغة قومه وموروثها العلمي والأدبي، أو آثارها الحديثة في جميع الميادين بغير العربية على حد سواء.

ويتمثل هذا الجهل في فقدانه لقوانين اللغة العربية من إملاء، ونحو وصرف، وبلاغة، وعروض، وغيرها، فكان ذلك بمثابة تقييد لفكره عن الإبداع[24].

ونسجل هنا قيمة الأداء للموقف التعلّمي أثناء التّعلّم؛ إذ تقوم الذّاكرة بتخزينه إلى حين مصادفة الموقف نفسه فتقوم باسترجاعه واستثماره في حل المسألة أو المشكلة.[25]

ونذكر في هذا السياق خطر الجهل بقيمة اللغة العربية والتي خصها الله تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِسَانُ الذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ۗ﴾[26] .

وقد قال عمر بن الخطاب: " تعلّموا العربيّة، فإنّها تزيد في العقل والمروءة".[27]

وهي دعوة صريحة إلى تقديس اللّغة العربيّة بقداسة القرآن الكريم، ومن قداستها محاربة فكرة الدّعوة إلى التّدريس بالعامية نظرا لخطورتها على الهويّة العربيّة وعقيدة المسلم، وهي فكرة غربية محضة لا طالما اجتهد المستشرقون في محاولة تمكينها من ألسنة الشّعوب العربيّة أثناء الاستعمار ولا يزالون يفعلون ذلك بمختلف الأساليب.[28]

- جهل المتعلّم بآداب التّحصيل العلمي[29] داخل المؤسّسات التّعليمية؛ وهي ثقافة افتقدناها في زمن العولمة وطغيان الحضارة المادّية، فقد اختلط الحابل بالنّابل حتى صار المتعلّم والمعلّم في صفّ واحد على خطّ الأخلاق وآداب التّعلم والتّعليم، ومن تلك الآداب: تبادل الاحترام والتّقدير بينهما، وتقديس مجالس العلم، والمواظبة عليها مع إحضار مستلزمات التّعلم والمحافظة عليها وحسن استغلالها، والتّحضير الجيّد والمراجعة والتّمرّن على حلّ المسائل العلميّة واللّغوية...إلخ.
- تخلّف الإدارة من حيث خدمة الأسرة التّعليميّة؛ رغم توفّر التّكنولوجيا وآلياتها، فلا يزال المتعلّمون يعانون في فترة التّسجيلات من سوء التّسيير ورداءة الخدمة، وغياب المساعدة في التّخفيف عنهم من عناء التّنقّل المتكرّر إلى المؤسّسات التي ينتمون إليها، وهذا الأمر قد تجاوزته الدّول المتقدّمة؛ بل وقد استثمرت تلك التكنولوجيات الحديثة في كل المجالات حتى في التّخفيف عن المواطن في التّسوّق والمعاملات الإدارية، وتنظيم السّفر وغير ذلك من متطلّبات الحياة، لأنّهم أدركوا قيمة الوقت فاجتهدوا في استغلاله.
- سوء التّعامل مع التّكنولوجيا، ولاسيّما الإنترنيت، فقد شاع عند المستهلكين العرب لهذا النّوع من المنتوج كثرة الاستعانة به طيلة الأوقات في جميع الحاجات، وذلك إدمان خطير اخترق الأبدان ووصل إلى القلوب حتى عميت وفسدت، وقد خلف فيها مبدأ الاتّكال لا التّوكّل على الله في القيام بالواجبات، ويكثر استعمالها عند

المتعلّمين اليوم في استماع الأغاني الغربيّة والشّرقيّة، ومشاهدة الأفلام الخليعة، وكل ما يتعلّق بالثّقافة الغربيّة حتى تمكّنت منهم، وبهذا تلفت المكتسبات اللّغويّة لعلوم العربيّة في عقولهم وتلفت معها خلايا الذّاكرة، فصارت خزّانا باليا لا يقوى على تحصين المعارف وحمايتها، وانتقل هذا المرض إلى تفكيك الرّوابط الأسريّة ومخالفة القواعد العامّة وأخلاق المجتمع الإسلامي.

5. سبل رفع مستوى المتعلّم الجزائري:

لقد عرضنا لبعض الأسباب التي أدّت إلى تدنّي المستوى التّعليمي لدى المتعلّم الجزائري عموما، ونقترح في هذا المقام ما يأتي:

- وضع نظام داخلي يفرض وجوب احترام المؤسّسة التّعليميّة في جميع الأطوار وما يرتبط به؛ من حيث الهندام، أو الجلوس، أو الحركة؛ يتقيّد به أفراد الأسرة التّعليميّة جميعا، مع فرض عقوبات تلزمهم بذلك. فقد انتهكت قداسة هذه الأماكن وصارت للاستجمام والتمتّع بملذّات الحياة أكثر منها لطلب العلم وتطوير المهارات وصناعة الكفاءات.
- ووجوب النّظر في محتويات الموادّ والمقاييس التي تدرس للمتعلّمين، وإعادة تصنيفها وترتيبها، مع ضرورة تفعيل التّطبيق بدل التّنظير، فلا يليق بمتعلّمي اللّغة العربيّة أن يدرس قوانينها في كافّة مراحل تعلّمه، في حين يعجز أن يكتب نصّا سليما من الأخطاء، أو حلّ مسائل لغويّة بسيطة، وذلك ما نبّه إليه الحاج صالح بقوله: "ولاشكّ أنّ تعلّم اللّغة بالاعتماد على النّصوص وانطلاقا منها كان هو الأصل في طريقة اكتساب المهارة في الفهم والإفهام لمدّة طويلة حتى جاء وقت تناسي المعلّمين لأهميّة النّصوص- فطغى الجانب النّظري على التّعليم".[30]
- وإعطاء الاهتمام البالغ للمصادر العربيّة القديمة [31] بتوزيع بحوث جماعية يتقاسم عناصرها الطّلبة من نفس القسم في شكل فرق بحث مصغّرة، يشرف على توجيههم أستاذ المادّة، وينبغي أن تعرض البحوث باللّغة الفصيحة ويناقشها المتعلّمون أنفسهم، وبهذا يتجسّد لديهم حبّ الاطّلاع ويتحسّن أداؤهم كتابة ونطقا.
- والعناية بالدّراسات الجديدة في حقل اللّسانيّات وفروعها، وضرورة استثمارها في الميدان، فهي حلول لمشاكل عالقة تعانيها الأسرة التّعليميّة في الجزائر والوطن العربي؛ وأدعو في هذا المقام إلى ضرورة تسهيل سبل التّعاون بين الأطوار التّعليميّة كلها تحقيقا لمبدأ التّكامل المنشود.
- وتصميم زيارات علميّة بين مختلف المؤسّسات التّعليميّة، تنظّمه إداراتها وفقا لطاقاتها المادّية، وتزكّيه المديرات التّابعة لها؛ حتى يتسنّى لأطراف العمليّة التّعليميّة-التّعلّميّة تبادل الخبرات وتوطيد العلاقات بينهم.
- واستثمار الإبداعات الفكرية في الأعمال المسرحيّة ونحوها، أو نشرها في مجلّات علمية، فذلك يشجّع المتعلّمين على الاجتهاد والعمل، ويكشف للباحثين مكامن الضّعف فيبحثون عن حلول لها.
- وتجنيد الحكومة لطاقاتها من أجل تسهيل مهام الإدارة خدمة للعلم، ومحاربة الجهل والخمول الذي أصاب الشّعوب العربيّة، وتمكّن منها حتى صارت عاجزة ومعطّلة؛ كإرسال واستقبال وثائق التّسجيل إلكترونيا بتفعيل

مواقع التّسجيل في المؤسّسات نفسها، وحسن استغلال الوسائل التكنولوجيا وتقنياتها الحديثة في مجال التعليم والتكوين.

وتحديد المسؤوليات للموظّفين بحسب المستويات والشّهادات، فقد لاحظنا في مسارنا المهني الخلط في توزيع المهام داخل الإدارة، وعدم تناسب التّخصّص أو المستوى مع المنصب، وذلك راجع إلى عدّة اعتبارات ليس هذا مقامها.

6. خاتمة:

المستوى المتدنّي للمتعلّم عموما تتداخل فيه عدّة جوانب وتكثر أسبابه، وتبقى المسألة رهينة الظّروف السّياسية والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة، فكلّما تحرّرنا من بعضها تطوّر أداء المتعلّمين، وتحسّن سلوكهم العلمي شيئا فشيئا.

ولعلّ أهمّ السّبل الكفيلة بتحسين ظروف التّعليم ورفع المستوى ما يلي:

- تفعيل القوانين المهتمّة بأخلاق التّعليم داخل المؤسّسة خصوصا.
- تعديل المحتويات المعرفيّة التي تتضمّنها كتب تعليم اللّغة العربيّة بما يتناسب والذّهنية العربية والثقافة الجزائريّة.
- الاهتمام بالتّراث العربي والإسلامي، والحرص على النّهل منه في تعليم النّشء بالطّرائق الحديثة.
- استثمار نتائج البحوث الميدانية في حقل تعليميّة اللغات.
- اعتماد مناهج تستمدّ مادّتها من الفلسفة العربيّة والإسلاميّة.

وما ننبّه إليه تلامذتنا الكرام وطلبتنا الأعزّاء هو عدم الرّكون للأوضاع والظّروف، والاستسلام للضّعف والعجز، وتوجيه اللّوم للآخرين، فالأمر يعنيهم أكثر من غيرهم، ولذلك عليهم أن يعزّزوا أمانيهم بالعمل، وطموحاتهم بالإرادة، وتصويب أخطائهم بالصّبر الجميل، فالمستقبل لهم والنجاح أو الفشل موكول إليهم.

7. الهوامش:

[1] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة (درس)، مكتبة الشارقة؛ ص: 279، 280.

[2] معروف الرصافي، ديوان معروف الرصافي، مر: مصطفى الغلاييني، مؤسسة هنداوي، مصر 2014؛ ص: 135.

[3] مطران خليل، ديوان الخليل، ج2، دار المعارف بمصر 1948م؛ ص: 156.

[4] ينظر: د. عبد القادر فضيل، وقفة مع الإصلاح التربوي، مجلّة التربية (2017) (www.arrabiaa.net)

[5] ينظر: إبراهيم ناصر، أسس التَربية، ط5، دار عمان للنَشر والتَوزيع، عمان الأردن 2000م؛ ص: 171.

[6] مصطفى صادق الرَافعي، ديوان الرَافعي، مطبعة الإسكندرية 1332هـ؛ ص: 21.

[7] ينظر: مناهج التَعليم الابتدائي، قسم المناهج وطرق التَدريس 2016؛ ص: 20.

[8] ينظر: وحدة النظام التربوي، ص: 9.

[9] مناهج التعليم الابتدائي، قسم المناهج وطرق التدريس؛ ص: 5.

[10] علي بن أبي طالب: ديوان شعره، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار ابن زيدون؛ ص: 123.

[11] معروف الرصافي، ديوانه؛ ص: 90.

[12] السّيرافي: شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن مهدلي وعلي سيّد علي، ج1، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان 2008، ص: 11، 12.

[13] د. محمد فاضل السّامرّائي، النّحو العربي أحكام ومعان، ج1، دار ابن كثير، ط1، 2014؛ ص: 8.

[14] الإمام عبد الله بن أحمد الفاكهي، شرح كتاب الحدود في النحو، شرح: متولي رمضان أحمد الدّميري، دار التضامن للطباعة والنشر، القاهرة 1408هـ/1988م؛ ص: 75.

[15] الإمام عبد الله بن أحمد الفاكهي، شرح كتاب الحدود في النحو؛ ص: 79.

[16] عبده الراجحي، العربية الجامعية لغير المتخصصين، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، لبنان 2007م/ 1428هـ، ص: 10.

[17] ينظر: د عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2016، ص: 275.

[18] ينظر: زيد بن محمد الرماني، "الطالب الجامعي واقع مؤلم ومستقبل مجهول" ، شبكة الألوكة. www.alukah.net/sharia

[19] ينظر: زيد بن محمد الرماني: المرجع نفسه.

[20] علي بن أبي طالب، ديوانه؛ تح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار ابن زيدون، ص: 123.

[21] ينظر: نسيمة ربيعة جعفري، الخطأ اللغوي في المدرسة الأساسية الجزائرية مشكلاته وحلوله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر؛ ص: 46.

[22] ينظر: د. محمد علي أبو المكارم، المدخل إلى دراسة النحو العربي، ط1، دار غريب، القاهرة 2007؛ ص: 15

[23] ينظر: د. كمال بشر، اللغة العربية والعلم الحديث، مجلة الفيصل، العدد 24، 1979؛ ص: 28.

[24] ينظر: د. أبو بكر خالد سعد الله، "هل إتقان اللغة مرتبط بالإبداع العلمي؟"، مقال في مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد الثاني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر ديسمبر 2005؛ ص:122

[25] ينظر: جوديت جرين، التفكير واللغة، تر: عبد الرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1992، ص: 24-25.

[26] سورة النحل، الآية: 103.

[27] د. ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي، كف المخطئ عن الدعوة إلى الشعر النبطي – دراسة تأصيلية على ضوء الكتاب والسنة-، ط1، مكتبة دار البيان الحديثة 1422هـ / 2000م؛ ص: 59- 60.

[28] ينظر: د. ذياب سعد الغامدي، المرجع نفسه؛ ص: 60، 69.

[29] ينظر: بدر الدين بن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، تح: عبد السلام عمر، دار الضياء، ط1، طنطا 2002؛ ص: 215-216.

[30] د. عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر 2016؛ ص: 275.

[31] ينظر: د. حسام البهنساوي، التراث اللغوي وعلم اللغة الحديث،ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1425هـ/ 2004؛ ص:9.

8- قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم ناصر، أسس التَّربية، ط5، دار عمان للنَشر والتَوزيع، عمان الأردن 2000م
2. أبو بكر خالد سعد الله، "هل إتقان اللغة مرتبط بالإبداع العلمي؟"، مقال في مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد الثاني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر ديسمبر 2005
3. الإمام عبد الله بن أحمد الفاكهي، شرح كتاب الحدود في النحو، شرح: متولي رمضان أحمد الدّميري، دار التضامن للطباعة والنشر، القاهرة 1408هـ/1988م

4. بدر الدين بن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، تح: عبد السلام عمر، دار الضياء، ط1، طنطا 2002
5. جوديت جرين، التفكير واللغة، تر: عبد الرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1992
6. حسام البهنساوي، التراث اللغوي وعلم اللغة الحديث،ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1425هـ/ 2004
7. ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي، كف المخطئ عن الدعوة إلى الشعر النبطي – دراسة تأصيلية على ضوء الكتاب والسنة–، ط1، مكتبة دار البيان الحديثة 1422هـ / 2000م
8. زيد بن محمد الرماني، "الطالب الجامعي واقع مؤلم ومستقبل مجهول" ، شبكة الألوكة. www.alukah.net/sharia
9. السَيرافي: شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن مهدلي وعلي سيّد علي، ج1، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان 2008
10. عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر 2016
11. عبد القادر فضيل، وقفة مع الإصلاح التربوي، مجلّة الرّبيئة (2017) (www.arrabiaa.net)
12. عبده الراجحي، العربية الجامعية لغير المتخصصين، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، لبنان 2007م/ 1428هـ
13. علي بن أبي طالب: ديوان شعره، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار ابن زيدون
14. كمال بشر، اللغة العربية والعلم الحديث، مجلة الفيصل، العدد 24، 1979
15. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة (درس)، مكتبة الشارقة
16. محمد علي أبو المكارم، المدخل إلى دراسة النحو العربي، ط1، دار غريب، القاهرة 2007
17. محمد فاضل السّامرّائي، النّحو العربي أحكام ومعان، ج1، دار ابن كثير، ط1، 2014
18. مصطفى صادق الرّافعي، ديوان الرّافعي، مطبعة الإسكندرية 1332هـ
19. مطران خليل، ديوان الخليل، ج2، دار المعارف بمصر 1948م
20. معروف الرصافي، ديوان معروف الرصافي، مر: مصطفى الغلاييني، مؤسسة هنداوي، مصر 2014
21. مناهج التّعليم الابتدائي، قسم المناهج وطرق التّدريس 2016
22. نسيمة ربيعة جعفري، الخطأ اللغوي في المدرسة الأساسية الجزائرية مشكلاته وحلوله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر